# الحديث الثانى

عن أبى هريرة – رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
**«أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا إنى بما تعملون عليم وقال: يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك»**

رواه مسلم

**راوى الحديث:**

هو أبو هريرة – رضى الله عنه – واسمه عبد الرحمن ابن صخر الدوسى، وقد كنى بهذه الكنية؛ لأنه كان يلعب بهرة صغيرة، فلما رآها رسول الله ﷺ فى كمه قال له: يا أبا هريرة، وهو أكثر الصحابة رواية عن النبى ﷺ، وقد أسلم عام خيبر، وشهدها مع النبى ﷺ ولازمه، وقد عاش حتى ولاه عمر

ابن الخطاب رضى الله عنه على البحرين ثم عزله، وتوفى فى آخر خلافة معاوية ودفن فى البقيع بالمدينة المنورة.

## المعنى الإجمالى

هذا الحديث يشتمل على أصل عظيم من أصول الإسلام وتعاليمه، وهو تحرى الحلال فيما يأكله المسلم، وما يشربه، وما يلبسه، وفى أمره كله.

وقد أمر الله رسله الكرام – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – وهم صفوة خلقه – أن يأكلوا من طيبات ما رزقهم الله، ويعملوا صالحًا، وأمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، وفى ذلك تكريم للمؤمنين، ورفع لشأنهم حيث سوى بينهم، وبين المرسلين فى دعوتهم إلى أكل الحلال الطيب، والعمل الصالح.

ثم بين رسول الله ﷺ أن الرجل المسلم قد يطيل السفر فى الطاعات، ويجهد نفسه، ويتعبها، وينبئ مظهره عن تواضع، وزهد فيغتر بهذا المظهر، ثم يرفع يديه إلى السماء يسأل الله من فضله، ويرجو نواله وعطاءه، ولكن الله لا يقبل منه، ولا يستجيب له؛ لأن بطنه ممتلئ بالحرام، وجسمه متدثر بالحرام، ولسانه الذى يدعو به قد غذى بالحرام فكيف يستجيب الله لمثل هذا الإنسان

البعيد من طاعة ربه المنغمس فى الحرام من أخمص قدمه إلى مفرق رأسه!!!؟

**من المباحث اللغوية :**

( أيها الناس ) جاءت هذه العبارة فى رواية مسلم، ولم يذكرها فى الحديث بعض شراح الأربعين النووية، ولعلهم اطلعوا على رواية أخرى له، وإعرابها على النحو الآتى : ( أى ) منادى مفرد مبنى على الضم، و( ها ) زائدة، و( الناس ) صفة لأى ويجب رفعه عند جمهور النحاة، ومثلها فى الإعراب ( يأيها الرسل . . . ) و( يأيها الذين آمنوا . . . ) .

( الرجل ) يجوز أن يكون منصوباً على أنه مفعول به للفعل ( ذَكَرَ ) أى النبى ﷺ – وجملة ( يطيل السفر ) صفة للرجل، لأنه معرف بأل الجنسية، فيجوز وصفه بالجملة، و( أشعث، أغبر ) حالان من فاعل ( يطيل ) وجملة ( يمد يديه ) حال ثالثة منه، وقوله ( يا رب يا رب ) مقول لقول مقدر وقع حالا من فاعل ( يمد ) أى قائلا : يارب يارب، ويجوز أن يكون ( الرجل ) مبتدأ خبره جملة ( فأنى يستجاب لذلك ) .

( وغذى بالحرام ) ضبطها الإمام النووى فى شرح صحيح مسلم بضم الغين وتخفيف الذال المكسورة .

**ملامح بلاغية:**

(يأيها الرسل) ذكر الإمام الرازى فى المقصود من الرسل ثلاثة وجوه: **أحدها**: أنهم رسل الله. **ثانيها**: أنه رسول الله محمد ﷺ، وذكر على صيغة الجمع كما فى قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ**...﴾ أى نعيم بن مسعود، **ثالثها**: أن المراد به عيسى عليه السلام، لأنه كان يأكل من غزل أمه، ثم قال الإمام الرازى: والقول الأول أقرب، لأنه أوفق للفظ الآية.

وعلى الوجهين الأخيرين يكون فى كلمة (الرسل) مجاز مرسل علاقته الكلية حيث أطلق الكل، وأريد الجزء، والمراد بالاستفهام فى قوله: (فأنى يستجاب لذلك) الاستبعاد. وقد أشير إلى الرجل المتصف بالصفات المذكورة باسم الإشارة (ذلك) الذى يشار به إلى البعيد احتقارا له، وازدراء به؛ لأنه بعيد من رضا الله عز وجل، محروم من إجابة دعائه.

## شرح وبيان

(أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا) يبدو من سياق هذا الحديث أن الرسول ﷺ يريد أن يحذر الإنسان المسلم من تناول الحرام بشتى صوره وأشكاله، وأن يرغبه فى الحلال حتى

يكون عمله مقبولاً، ودعاؤه مستجابًا، فقدم بين يدى هذا الغرض بقوله: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا» أى إن الله طاهر منزه عن النقائص، والعيوب، فينبغى أن يتخلق المؤمن بأخلاق الله، فلا يصدر عنه إلا الطيب، ولا يقترف إلا الحسن الجميل من الأعمال، والأقوال، قال تعالى: ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا** ﴾ [الكهف: ١١٠] وقال: ﴿ **وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ** ﴾ [الحج: ٢٤] وأن يتحرى إنفاق المال الجيد الحلال، قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ** ﴾ [البقرة: ٢٦٧] وقال: ﴿ **لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ** ﴾ [آل عمران: ٩٢] وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «من كسب مالاً حرامًا فتصدق به لم يكن له أجر وكان إثمه عليه».

وقدم ﷺ أيضًا بين يدى الغرض السابق بقوله: (وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا...** ﴾ [المؤمنون: ٥١] وقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ** ﴾ [البقرة: ١٧٢]).

فالله سبحانه سوى بين المؤمنين، وبين المرسلين فى أمرهم

جميعًا بالأكل من الطيبات، وفى هذا تكريم للمؤمنين، وحث لهم على الاقتداء بالمرسلين.

( كلوا من الطيبات ) يظهر – والله أعلم – من سياق الآية وموضعها فى الحديث أن المراد بالطيبات الحلال، وقد يأتى الطيب بمعنى المستلذ وبمعنى الطاهر، جاء فى لسان العرب: وطعام طيب للذى يستلذ الآكل طعمه،وقد يرد الطيب بمعنى الطاهر، ومنه الحديث أنه قال لعمار رضى الله عنه: مرحبًا بالطيب المطيب أى الطاهر المطهر، ونقل صاحب اللسان عن ابن الأثير قوله: وقد تكرر فى الحديث ذكر الطيب والطيبات، وأكثر ما يرد بمعنى الحلال كما أن الخبيث كناية عن الحرام.

وقال الإمام الرازى: «الطيب فى اللغة قد يكون بمعنى الطاهر والحلال يوصف بأنه طيب؛ لأن الحرام يوصف بأنه خبيث، قال تعالى: ﴿ **قُل لاَّ يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ** ﴾ [المائدة: ١٠٠] والطيب فى الأصل هو ما يستلذ به، ويستطاب ووصف به الطاهر والحلال على جهة التشبيه؛ لأن النجس تكرهه النفس فلا تستلذه والحرام غير مستلذ؛ لأن الشرع يزجر عنه..» وقد أورد فى معنى الطيبات فى الآية رأيًا مؤداه أنها المطاعم اللذيذة التى يتلذذ الناس بها، ويتفكهون فقال: ولعل أقوامًا ظنوا أن التوسع فى المطاعم،

والاستكثار من طيباتها ممنوع منه، فأباح الله ذلك بقوله كلوا من لذائذ ما أحللناه لكم.

(واعملوا صالحًا) العمل الصالح ما كان موافقًا لما شرعه الله؛ لأن الله لا يعبد ولا يتقرب إليه إلا بما شرع، ولابد أن يكون هذا العمل خالصًا لوجه الله، بعيدًا عن الرياء والسمعة؛ لأن الرياء يبطل العمل، ولذلك قال ﷺ: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله قال الرياء».

وكان الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: اللهم اجعل عملى كله صالحًا واجعله لوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه شيئًا.

وقال الفضيل بن عياض فى قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ قال: أخلصه وأصوبه قالوا: ما أخلصه وأصوبه؟ قال: العمل إذا كان خالصًا، ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا، ولم يكن خالصًا، لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة.

فلابد أن يكون مع الإخلاص والنية الصادقة فهم ثاقب، وإتباع لما شرعه الله، وبَيَّنَهُ رسوله (ﷺ) حتى يكون العمل مقبولاً مرضيًا عنه من الله تعالى.

( ثم ذكر ) هذا من قول أبى هريرة – رضى الله عنه – وفاعل ذكر ضمير يعود إلى النبى ( ﷺ ) .

( الرجل ) خص الرجل بالذكر؛ لأنه الذى يسافر، ويكابد مشقات السفر غالبًا، وإلا فالمرأة مثله، وهى مكلفة بكل أوامر الإسلام ونواهيه.

( يطيل السفر أشعث أغبر ) أى يسافر فى وجوه الطاعات المختلفة كالحج، وطلب العلم، وصلة الرحم، والجهاد فى سبيل الله، ويترك شعره متلبداً غير مرجل، وجسمه متسخًا يعلوه الغبار.

( يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام ) أى إنه يدعو الله، ويتضرع إليه، ومأكوله حرام، ومشروبه حرام، وملبوسه حرام.

( وغذى بالحرام ) ذكر هذا بعد تقدم المطعوم والمشروب، ليشعر أنه أفرط فى تناول الحرام حتى صار جسمه متشبعًا به، قائمًا عليه.

( فأنى يستجاب لذلك )؟ أى يبعد أن يستجيب الله لذلك الرجل، وهو متلبس بالحرام، وما درى هذا، وأمثاله أن الله لا يقبل الدعاء إلا ممن التزم بآدابه، وأهمها أكل الحلال، فقد روى أن

سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال للنبى ﷺ: ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة فقال له: «يا سعد أطب مطعمك تستجب دعوتك، والذى نفسى بيده إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه أربعين يومًا، وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به».

وإن كنت فى حاجة إلى مزيد من معرفة آداب الدعاء فارجع إلى كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالى [٣/٥٤٩ ط الشعب] فقد ذكر فيه كثيراً من هذه الآداب، ولا بأس أن أورد لك بعضًا منها:

**أحدها**: التضرع، والخشوع، والرغبة، والرهبة قال الله تعالى: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**﴾ [الأنبياء: ٩٠] وقال عز وجل: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً**﴾ [الأعراف: ٥٥].

**ثانيها**: اغتنام الأوقات الشريفة قال أبو هريرة رضى الله عنه: إن أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف فى سبيل الله، وعند نزول الغيث، وعند إقامة الصلوات المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها، وقال ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فأكثروا فيه من الدعاء».

**ثالثها** : أن يجزم الداعى الدعاء، ويوقن بالإجابة قال ﷺ : « لا يقل أحدكم إذا دعا اللهم اغفر لى إن شئت، اللهم ارحمنى إن شئت ليعزم المسألة فإنه لا مكره له ».

**رابعها** : أن يلح فى الدعاء ويكرره ثلاثًا، قال ابن مسعود : كان عليه السلام إذا دعا دعا ثلاثًا وإذا سأل سأل ثلاثًا، وينبغى ألا يستبطئ الإجابة لقوله ﷺ : « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لى فإذا دعوت فاسأل الله كثيراً فإنك تدعو كريمًا » .

وفى نهاية الكلام عن هذا الحديث الشريف أحب أن أنبه إلى أن المسلم الذى يدعو الله، وقد التزم آداب الدعاء، قد يستجيب الله دعاءه، ويحقق أمله، وقد تقتضى مصلحته التى يعلمها الله ألا يعجل له دعوته بل يدخرها له فى الآخرة، أو يكف عنه من الأذى، والسوء بمثلها قال ﷺ : « ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث : إما أن يعجل له دعوته، وإما أن يدخر له، وإما أن يكف عنه من السوء بمثلها ».

* * *